خالعة القلوب "G H "؟!

﴿ D E F G H I J K L M N O P Q

R T U V W X Z [\ ] ^ _

` a b c d e f g h i j k

l m o p q r s t ﴾ (التوبة).

كم هو أمر جللٌ عند أهل الإيمان أن يعاتبهم الله سبحانه على أنه أمرهم فلم يعملوا، أو استعجلهم فتأخروا، أو استقرضهم فبخلوا، أو رغَّبهم فكرهوا، أو شجَّعهم فجبنوا؟!

كيف تحتمل القلوبُ المؤمنة عتابَ الله تعالى، وهي التي تعمل ليل نهار راجيةً مرضاته، تجوع صائمةً ليرضى، وتنفق الأموال في سبيله ليرضى، وتركب الأهوال ليرضى، وتفارق الأحباب وتعادي العالمين ليرضى سبحانه، وتمشي على وجهها لو قدِرت بدل رجليها ليرضى سبحانه، ولسان حال كل واحد من المحبين يقول:

بعــــتُ ذاتي علـــى حبيـــب قريـــب ... مـــن فـــؤادي ومنـــه حـــبي وذاتي

تـــاه لـــبي وذاب قلـــبي لـــربي ... فهـــو حـــبي وســـلوتي في حيـــاتي

ولـــــه كـــــلُّ ذرة في كيـــــاني ... ومممـــــاتي ومنســــكي وصــــلاتي

يـــا مـــرادي هـــذي تـــرانيم حـــبٍّ ... مـــن فيـــوض المشـــاعر الخاشـــعات

أنـــت أهـــل الثنـــاء والمجـــد فـــامنن ... بجميـــلٍ مـــن الثنـــاء المُـــواتي

مـــا ثنـــائي عليـــك إلا امتنـــانٌ ... ومثـــال للأنعـــم الفائضـــات

يـــا محـــب الثنـــاء والمـــدح إني ... مـــن حيـــائي خـــواطري في شـــتات

ذابـــت الـــنفسُ هيبـــةً واحترامًـــا ... وتأبَّـــت عـــن بلـــع ريقـــي لهـــاتي

حبنـــا وامتـــداحنا لـــيس إلا ... ومضـــةٌ منـــك يـــا عظـــيمَ الهبـــات

لـــو نظمنـــا قلائـــدًا مـــن جمـــانٍ ... ومعـــانٍ خلابـــةً بالمئـــات

لــو برينــا الأشــجار أقــلام شــكرٍ	بمـــدادٍ مـــن دجلـــةٍ والفـــرات
أو نقشـــنا ثناءنـــا مـــن دمانـــا	أو بـــذلنا أرواحنـــا الغاليـــات
لـــو نُشِـــرنا في ذاتـــه أو رُمينـــا	برمـــاح فتَّاكـــة مُشـــرعات
أو جهـــدنا نفوســـنا في قيـــامٍ	وصـــيام حـــتى غـــدت ذاويـــات
أو مزجنـــا نهارنـــا بـــدجانا	في صـــلاةٍ وألســـنٍ ذاكـــرات
أو قطعنـــا مفـــاوزًا مـــن لهيـــب	ومشـــينا بأرجـــل حافيـــات
أو ســـجدنا علـــى شـــظايا رصـــاص	أو زحفنـــا زحفًـــا علـــى المرمضـــات
أو بكينـــا دمًـــا وفاضـــت عيـــون	بلـــهيب المـــدامع الحارقـــات
مـــا أبنَّـــا عـــن همســـة مـــن معـــانٍ	في حنايـــا نفوســـنا ماكنـــات
أو أتينـــا لـــذرة مـــن جـــلال	أو شـــكرنا آلائـــك الغـــامرات(١)

أفترى هؤلاء يهون عليهم عتاب ربهم سبحانه، كما يهون على كثيرين ممن استمعوا لعتاب الله سبحانه، وتركوا الجهاد، وكأنَّ شيئًا لم يكن؟

يقال لكم: ﴿ ~ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾ (الصف: ٤). ولا تقاتلون؟!

يستنصركم إخوانكم في الميدان، وأنا أقول لكم: ﴿ m n ﴾ ثم لا تَنصرون؟!

تزعمون الإيمان بي، وتزعمون حبي ولا تنفرون؟!

ما لذرات الإيمان في قلوبكم تسمع الصريخ يستنفرها في سبيل الله ثم هي لا تتحرك في الصدور؟! ما لآيات النفير لا تموج بالرجال كموج البحار إذا جاءته الريحُ العاصف؟!

أيتها النفس: أتحبين الله؟! أتحبين ما يحب الله؟ إذن فلم تعتذرين عن الاستجابة لندائه؟!

---

(١) من قصيدة "الله أهل الثناء والمجد" للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني ص ١٦.

عزَّت الروح على خالقها؟! عزَّ المال على واهبه؟! قدَّمتِ الزوجةَ والذرية؟! رغبتِ في الحياة وملذاتها ومألوفاتها؟ إذًا فلتسمعي ما يقول الله: ﴿ K L M N

O P Q R S T U V W

X Y Z [\ ] ^ _ ` a b

c d e f h i j k l ﴾ (التوبة: ٢٤).

هذا هو مقياس الحب الوحيد عند الله تعالى إذا دعى داعي الجهاد، ولا مقياس حبٍّ آخر، فليختر كل واحدٍ حبيبه.

﴿ Z [\ ] ^ _ ` a ﴾، فحبُّ الثلاثة لا يفترق: الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وجهاد في سبيله.

تُرى ماذا حصل للمؤمنين حين نزل جبريل عليهم بعتاب رب العالمين: ﴿ D

E F G H I J K L M N O P Q R T

U V W X Z [\ ] ^ _ ` a ﴾

(التوبة: ٣٨).

سبحان الله: الله تعالى يستنفرهم، وهم لا ينفرون؟! إذن فهؤلاء ليسوا بأصحاب محمد ولا هم بتربيته صلى الله عليه وآله وسلم! ولا يكونون من التابعين لهم بإحسان ولا من الذين جاؤوا من بعدهم واستقاموا على نهجهم.

فما كان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحتملون القعود إذا ما دعى داعي النفير. هذا يقوم عن بِكْره في ليلة عرسه، وذاك ينفض يدَه عن تجارته وعمله، وهذا يلعق أصابعه ويقوم عن طعامه، وهذا يثور من لحافه إلى سلاحه، وهذا يقطع حديثه مع جُلاَّسه، ولسان حال أحدهم يقول: من يعذرني بعد عتاب ربي؟ فقد قضى اللهُ وحكم وقطع كلَّ عذر وجزَم، وليس ثمة إلا ما قال الله: ﴿ T U V W X ﴾.

يقول راشد الحبراني: وافيتُ المقدادَ فارس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحمص على تابوت من توابيت الصيارفة، قد أفضل عليها من عظمه، يريد الغزو، فقلت له: قد أعذر الله إليك. فقال: أبت علينا سورة البُحُوثِ ﴿ ! " # ﴾[1].

ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: رأيت عمارًا يوم اليمامة على صخرة، وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أمِنَ الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر هلموا إليَّ! وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهي تذبذب، وهو يقاتل أشد القتال[2].

الأذن تذبذب دمًا، وهو يحرِّض على الجنة، بل لسان أحدهم: لا والله فلو بقيت الروح تقعقع والعنق تذبذب، بل تثور دمًا لقاتلنا في سبيلك ربنا، ولا تسعنا الحياة بعد عتابك.

ويبقى الناس يقرؤون هذه الآية كما يقرؤون القرآن كله تعظيمًا وتكريمًا وعملاً وتقديمًا، فإذا ما صاح صائح النفير، تفجَّر بركان هذه الآية في قلب المؤمن، فلم يملك قعود لحظة.

كيف تطيب الحياة، وهو يرى بعينيه جندَ الله يجولون ويصولون يَقتلون ويُقتلون؟ وإذا بهذه الآيات تأتي كأنَّ جبريل نزل الآن، وكأنَّ حكم الله سيُختم به الآن، أهو منافق أو مؤمن؟ فإذا بالآية تلهب قلبه، وتقلي جنبه، وتطير نومته.

الله يقول: ﴿ H G ﴾؟! وجوابي عليه: القعود.

الله يقول: ﴿ T U V ﴾ ؟! وجوابي عليه: الرضا بالحياة الدنيا.

الله يقول: ﴿ ! " # ﴾! وجوابي عليه: الإصرار على القعود.

لا والله: حتى لو كان لي عذر فليَشهد اللهُ حضوري وأنا معذور خير من أن يشهد قعودي على أيِّ حال كان.

---

[1] **أخرجه ابن سعد ٣ / ١ / ١١٥، وأبو نعيم في " الحلية " ١ / ١٧٦، والحاكم ٣ / ٣٤٩، وصححه، وابن جرير ١٠ / ١٣٩.** وانظر سير أعلام النبلاء ٣٨٨/١.

[2] أخرجه ابن سعد ١٨٢/١/٣. وانظر سير أعلام النبلاء ٤٢٢/١.

قال الزهري: خرج سعيد بن المسيب رحمه الله، يريد الغزو، وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل صاحب ضرر. فقال: استنفر اللهُ الخفيفَ والثقيلَ، فإن لم يمكني الحرب كثَّرت السواد وحفظت المتاع[١].

وعن أنس أنَّ أبا طلحة رضي الله عنهما، قرأ سورة براءة، فأتى على هذه الآية ﴿ ! " # ﴾. فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شابًا وشيخًا، جهِّزوني، فقال له بنوه: قد غزوتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُبض، وغزوتَ مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك، فقال جهِّزوني، فجهزوه، وركب البحر، فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فلم يتغير [٢].

نعم، قد يغفل أهل الإيمان عن الجهاد في سبيل الله مرة، لكن حين تقرع أسماعهم هذه الآيات، فإنهم لن يهدؤوا حتى يقارعوا العدوَّ في الميدان، ويرفعوا عتاب ربهم عنهم، ولسان أحدهم يقول: لا والله إلا عتابك ربِّنا.

وها قد صاح صائح النفير في وادينا، وادي العراق، ها قد حضر الاختبار.

فماذا أنتِ صانعةٌ أيتها النفس أمام حكم الله؟ أمام حبِّ الله ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ أمام استنفار الله؟ أمام استنصار الله والمؤمنين؟ أمام هذه الآيات العظيمة؟

ها هي الآيات التي حرَّكت الأجيالَ المؤمنة، وأطارت نومها، وأذهلتها عن التجارة والولد والصاحب والترف، وهرعت مسرعة خائفة أن يصيبها حكم الله بالنفاق.

﴿ D E F G H I J K L M N O P Q
R T U V W X Z [\ ] ^
_ ` a b c d e f g h i
j k l m o p q r s t ﴾ (التوبة).

---

[١] تفسير البغوي ٥٤/٤.

[٢] أخرجه أبو يعلى (٣٤١٣)، وابن حبان (٧١٨٤)، والحاكم ٣٥٣/٣. وعزاه الهيثمي في "المجمع" إلى أبي يعلى والطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

بالله عليكِ أيتها النفس، ماذا أبقيتِ للمنافقين إن قعدتِ وتركتِ الجهاد؟ قعدتِ كما قعد المنافقون، عميتِ عن الآية كما عمي المنافقون، بخلتِ بالمال كما بخلوا، ظننتِ السعادةَ والسلامة بالجلوس، والموتَ بالخروج، كما صرح بذلك المنافقون، ظننتِ أنَّ النصر لأعداء الله، كما ظن المنافقون، استنصركِ إخوانك في الله فلم تنصري، **فماذا أبقيتِ للمنافقين الأولين؟ وهل من فارقٍ بينكِ وبينهم؟!**

أيتها النفس: تعالي نتحاسب حسابًا يزيل التلبيس ويطير الخداع، حسابَ صدق قبل حساب الله؛ لتحيين على بينة أو تهلكين على بينة، وليكن في هذا بلاغ وحجة، تقطع اعتذار كلِّ متخلف بغير عذر.

أيتها النفس: كأنَّك تطمعين بموتةٍ في قصرٍ منيفٍ على فراش وثير؟**!** فَلْتُهْنِك تلك الموتة التي تحسبينها هيَّنة ناعمة**!** ولْيُهْنِك نزعُ ملك الموت روحَكِ نزعًا، يُخرجها من كلِّ خلية حية إخراجًا، فكأنَّ لكل خلية روحُها وحياتُها، وكأنَّ روحَك تُنـــزع بعَدد خلاياكِ، وكأني بكِ تشهقين بكل روح وتغرقين في الموت، وتغرقين وتغرقين... غمراتٌ في غمراتٍ في غمراتٍ متواصلة متراكبة، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى © ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ´ µ ¶ ¸ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام: ٩٣).

أيتها النفس: هل ترغبين عن موتة الشهيد التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "كمس القرصة"، فقد صح عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **(**ما يجد الشهيد من مس القتل، إلا كما يجد أحدكم من مسِّ القرصة**)**[١]. لطفٌ من الله بمن قدَّم روحه لله، وشرع في أسباب ذهاب روحه في سبيل الله، وما انتظر أجله أو اتقاه بأخذ أسباب الحياة على حساب دينه، وما انتظر خلع ملك الموت لها، فلا ملك الموت يؤذيه، ولا إخراج الروح

---

[١] أخرجه أحمد ٢/٢٩٧، والدارمي (٢٤٠٨)، والترمذي (١٦٦٨)، والنسائي ٦/٣٦، وابن ماجه (٢٨٠٢)، وابن أبي عاصم في "الجهاد" (١٩٠)، وابن حبان (٤٦٥٥)، وأبو نعيم في "الحلية" ٨/٢٦٤، والبيهقي ٩/١٦٤، والبغوي في "شرح السنة" (٢٦٣٠). قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وقال الألباني: حسن صحيح. وقال شعيب: إسناده قوي.

يزعجه أو يحزنه أو يجرحه، وكأنه الاستئذان بالانتقال من دار الفناء إلى دار النعيم، وفيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحمزة سيد الشهداء ﴿N O P Q R S T U V W Y Z [﴾(النساء: ٦٩).

سبحان الله ما أحلاها من قرصة، وما أطيبه من تنبيه، وكأنَّ الروح لم تُقبض، وكأنَّ الموتَ ما مرَّ بك، بل كأنَّ حياتك الدنيا موتٌ بالنسبة لهذه الحياة الجديدة، ويا لها من ولادة جديدة في حياة جديدة مديدة سعيدة كلها حياة ورزق وفرح وفضل واستبشار، ألم يجمع الله كل ذلك للشهيد خاصة من بين جميع الموتى، فقال سبحانه: ﴿d e f g h i j k m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ © بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ µ ﴾ (آل عمران).

قلبي بحبك يا شهادة نابض — لما رأيت الصدق ينبض في المقل
هيا إلى ساح الجهاد فكلنا — شوق لنثأر للمذابح في عجل
فإذا رجعت من الجهاد مظفراً — ألقاه بالوجه المضيء وبالقبل
وإذا قضيت فإنني مشتاقة — ولجنة الفردوس يحدونا الأمل[(١)]

أيتها النفس: كأني بكِ تحسدين العملاء على **العلف** الكثير الذي أُلقي لهم، أو تغبطينهم على رضا عدوِّ الله عنهم، أو تتمنين أن تتفتح لك الدنيا كما تفتحت لهم؟! فإذا استأذنوا العدوَّ أُذِن لهم، وإذا دخلوا المنطقة الخضراء رُحِّب بهم، وإذا دخلوها أو دخلوا الدوائر الحمراء أو الوزارات الحكومية صفقت لهم أكف الأبواب، وإذ استشفعوا في رجل قبلت شفاعتهم...؟!

إذن فلْيُهْنِكِ شرف صحبة هذه الوجوه الكالحة، ألا شاهت الوجوه:

---

(١) من قصيدة "حوار" لعلي الحاجي، مجلة البيان، العدد (٨٠) ص (٥٥).

ونافخ الكـــير أضـــحى ســـيدًا عطـــرًا   وحامل المسك يا تُعســـاه قـــد هُـــردا
وسارق الكحـــل مـــن عـــين مؤرَّقـــة   أضحى أمينًا يَطِـــبُّ الحَسْـــرَ والرمَـــدا
وخائن العهد قد أضـــحى أخـــا ثقـــةٍ   وصادق الوعد في الخُوَّان قد حُشِـــدا[١]

يا نفس: عودي، يا نفس أصغِ قليلاً... إنه صراخ النفير يضج في سماء العراق! إنه صراخ العباس بن عبد المطلب يهتف بالناس، وقد تشتتوا في الأودية والشعاب وتحت الشجر في أرض حُنين مبتعدين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

يا نفس: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على القصواء يقابل الجيوش وحده، منطلقًا نحوها يصيح: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)[٢]، معرِّفًا العدو بنفسه، لا تثنيه الرماح ولا الحراب ولا الجموع كلها، وقلة من أصحابه رضي الله عنهم يمسكون ناقته خوفًا عليه وحماية وفداءً.

فعن عليٍّ رضي الله عنه، قال: لقد رأيتُنا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أقربنا إلى العدوِّ، وكان من أشَدِّ النَّاس يومئذ بأسًا.

- وفي رواية: لَّما حضر البأسُ يوم بدر، اتَّقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من أشدِّ الناس ما كان، أو لم يكن أحدٌ أقرب إلى المشركين منه.

- وفي رواية: كُنَّا إذا احمرَّ البأسُ، ولقي القومُ القومَ، اتَّقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون منَّا أحدٌ أدنى إلى القوم منه[٣].

قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإنَّ الشجاع منا للذي يحاذى به، يعني النبي صلى الله عليه وسلم[٤].

---

[١] من قصيدة "يا حابس الفيل" لمروان كحك، مجلة البيان، العدد (٣٥) ص (٤٣).

[٢] أخرجه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (٤٦٣٨)، وأحمد ٢٨٠/٤، والترمذي (١٦٨٨)، والنسائي في "الكبرى" (٨٥٨٤).

[٣] أخرجه أحمد ٨٦/١، والنسائي في "الكبرى" (٨٥٨٥). وصححه شعيب.

[٤] أخرجه مسلم (١٧٧٦).

العباس يسارع يصيح في الوادي بأعلى ما وهبه الله من صوت، يناديهم بشرف القرآن الذي صحبوه، يذكرهم بالعهود التي قطعوها (يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة).

كلماتك يا عباس قد خلعت القلوب، فنسيت أنفسها، وتذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والكتاب، والإسلام، والعهود، والشجرة، فكانت صولة أذهلت الرجل عن نفسه، وأذهلت الراكب عن فرسه، وأذهلت الرجال عن الرماح والحراب الكثيفة التي كأنها شعاع الشمس في وجوهها، لقد كانت صورة محيرة للفداء، قال العبَّاس: شَهِدتُ مع رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يوم حُنَين، فلزمتُ أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم، فلم نفارقه، ورسول اللَّه صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نُفاثة الجُذامِيُّ، فلمَّا التقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قِبل الكفار، قال عباس: وأنا آخذٌ بلجام بغلَة رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم أَكُفُّها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: أيْ عباسُ ناد أصحاب السَّمُرَة. فقال عَبَّاسٌ -وكان رجلاً صيِّتًا- فقُلتُ بأعلى صوتِي: أين أصحاب السَّمُرة؟ قال: فواللَّهِ لكأنَّ عَطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها. فقالوا يا لبيَّكَ، يا لبيَّك. قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار. قال: ثُمَّ قُصِرَت الدَّعوةُ على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج. فنظر رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمُتطَاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس. قال: ثُمَّ أخذ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم حصياتٍ فرمى بِهِنَّ وجوه الكفار. ثمَّ قال: انهزمُوا وربِّ محمد. قال: فذهبتُ أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فواللَّهِ ما هو إلا أن رماهم بِحصياتِهِ، فما زلتُ أرى حدَّهم كليلاً وأمرهُم مدبرًا[١].

[١] أخرجه مسلم (٤٦٣٥)، والحميدي (٤٥٩)، وأحمد ١/٢٠٧، والنسائي في "الكبرى" (٨٥٩٣).

يا نفس: أغرَّتْكِ مظاهرُ المنافقين؟ أغرَّتْك أشكالهم، ومدخلهم، ومخرجهم، وعطورهم، ومراكبهم، وبيوتهم، ومداخيلهم اليومية والشهرية السخية، وتغير أحوالهم، وانتعاشهم، وانتفاشهم، أما سمعتِ ما يقول الله فيهم وفي أتباعهم: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ µ ¶ د لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (المنافقون: ٤).

يا نفس: تتمنين ذلك العيش؟! أما نظرتِ إلى انقلابهم على أدبارهم، وارتدادهم عن دينهم، ونقضهم عهودَ الله تعالى...؟

دعي ظاهرَهم، وسلِيهم عن الخزي الذي يُجلِّلهم، وعن الهوان الذي يركبهم!

سليهم بأيِّ شيء تُحدِّثهم أنفسُهُم في لحظات الصدق!

سليهم أيُّ شيء يشرِّفهم: ماضيهم الجهادي المشرق أم حاضرهم النفاقي المخزي!

سليهم بالله عن حديث النفس اللوامة عند المنام وعند المهام وعند الهيام!

سليهم أيُّ صفحات سود سيفتحونها لأبنائهم من سجلاتهم!

سليهم عن أمنياتهم في آخر حياتهم!

نفخـــوك يـــا طـــبلاً بحكـــم تافـــهٍ ... فغدوت مشـــدوهًا ورحـــت مصـــفِّرًا
هـــذا-لعمـــركم- الصـــغار بعينـــه ... حـــتى الحيـــاء بمقلتيـــه تحجـــرا
والمـــرء يعلـــو بالهـــدى فـــإذا هـــو ... عـــاش الحيـــاة مطـــبلاً ومزمـــرا
قَلَـــب المبـــادىء طامســـين ضـــياءها ... كم دنست عرضًـــا وجـــرَّت منكـــرا
قلبـــوا الحقـــائق منكـــرين عقـــولهم ... حاشـــا الحقيقـــة أن تغيـــب أوتقـــبرا
لكـــن ســـتلعن فعلكـــم أجيـــالكم ... يا ويح من باع المبـــادىء واشـــترى[١]

---

[١] من قصيدة "قالوا: السلام" لسليمان محمدي، مجلة البيان، عدد (١٤٣) ص (٦٠).

قولي لهم: ماذا سيروي أبناؤكم عنكم للأجيال؟ كلٌّ عميل وصمةُ عار في جبين عشيرته، لا تطهرها إلا يد العشيرة، فلو تم تطهير هذا العار على يد عشيرةٍ غير عشيرته أو أهلٍ غير أهله، أو رجال غير رجاله للتصقت تلك الوصمة بالعشيرة إلى الأبد ولزمت الأخ والأخت والبنت والولد.

أيتها النفس: أراكِ تخافين على العيال من بعدك الضَّياع، وعلى المالِ التلفَ، وعلى الأملاكِ المصادرةَ، وعلى الشبابِ الذهابَ، وعلى الدنيا ومألوفِها ومجالسِها وصحبِها وأنسِها ولذائذِها العطبَ؟!

إيهٍ أيتها النفس لقد صدق الله تعالى: ﴿ D E F G H I J
K L M N O P Q R T U V W
X Z [\ ] ^ _ ` a ﴾(التوبة: ٣٨).

أتريدين المحافظة على كل هذا وترجين بعده الإيمان؟!

أتريدين أن تجمعي بين المتاعين؟

أتريدين أن تجمعي بين مرضاة الله ومرضاة الصليبيين والمنافقين؟!

أتريدين أن تجمعي بين القعود وبين الشهادة؟

فبالله عليكِ إن لم تكن سورة التوبة نزلت فيكِ وفي أمثالكِ ففي من نزلت؟ ألم تسمعي قول الله تعالى: ﴿ 2 3 4 5 6 7 8 9 :
; < > ? @ A B C D E F
G H I ﴾(التوبة: ٤٢). وقوله تعالى: ﴿ ? @ A B C
D E F G H I ﴾(التوبة: ٥٧).

ألم يعلم الله تعالى بهذا البلاء الصعب؟

ألم يكن للأولين أبناء وأموال وبيوت وأعراض ومألوفات في الحياة؟

يا للخزي: رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصحراء الهاجرة والشمس المحرقة، قاصدًا قتال الروم، وأبو خيثمة في بستانه، وعنده الماء البارد وحوله زوجتاه وعياله... لا والله! لا تغرب الشمس على المدينة وأنا فيها، بل والله لا أقعد على حصيري لحظة، إنما مقعدي ظهر ناقتي، جهِّزوني جهِّزوني.

وانطلق أبو خيثمة يسابق الغروب، ويسبق الريح الهبوب، وما سكن حتى رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصدَّقه في عذره، فرضي عنه، وعفا عنه، ودعا له؛ لتبقى هذه السُّنة لكل من عاد صادقًا.

يا للتأخير وصائح الجنة في الميدان يصيح! يا للإبطاء عن الجنة حتى آكل هذه التمرات الفانية... تمراتُ الجنة أطيب، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينادي في بدر: (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض[1]). إذًا هذا والله ليس عمير بن الحمام إن تأخر عن الجنة لحظة! عظُمت كلماتُك يا رسول الله في نفس عمير - وإنها لعظيمة -: (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض).

قال عندها عمير: بخٍ بخٍ، لئن أنا حَيِيتُ حتى آكُلَ تمراتي هذه إنَّها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثمَّ قاتلهم حتى قُتِلَ، رحمه اللَّه[2].

ما للنفوس تغيرت؟! ما للعهود تبدلت؟! ما للشجاعة انكمشت؟! ما للأسود تدجنت؟! ما للجمال استنوقت؟!

لا لن يرضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأيِّ تغير: الموت هو ما نطلبه، وماذا أكثر من الموت.

مالكَ يا ثابت تُنكر هذه البطولات في معركة اليمامة، لا ليست هذه الطريقة التي ربانا عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ليس هذا هو طلب الموت بحق، فعن موسى ابن أنس، قال: وذكر يوم اليمامة، قال: أتى أنسٌ ثابتَ بنَ قيس، وقد حسر عن فخذيه، وهو يَتَحَنَّطُ، فقال: يا عمِّ، ما يحبسك أن لا تجيء؟ قال: الآن يا ابن أخي، وجعل يتحنَّطُ، يعني من

---

[1] أخرجه مسلم (٤٩٥٠)، وأحمد ٣/١٣٦، وعبد بن حميد (١٢٧٢)، وأبو داود (٢٦١٨).

[2] أخرجه مسلم (٤٩٥٠)، وأحمد ٣/١٣٦.

الحنوطِ، ثمَّ جاء فجلس، فذكر في الحديث انكشافًا من الناس، فقال: هكذا عن وجوهنا حتى نضارب القوم، ما هكذا كنَّا نفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، بِئس ما عوَّدتُم أقرانَكم[١].

ماكان الأب يذهب للقتال والشباب قاعدون في البيوت، وما كان الأب يقعد ويترك الشباب يذهبون.

أيُّ معرة بالقعود، بل أيُّ إبطاء عن الجنة هذا؟

هذا عمر وأخوه زيد بن الخطاب رضي الله عنهما في بدر يختلفان، كلٌّ واحد يُقسم بالله على أخيه أن يقاتل بالدرع الوحيد لديهما، ويبقى الآخر يقاتل حاسرًا بغير درع؟

عليٌّ رضي الله عنه لا يطيق البقاء في المدينة، وقد خرج جيش العسرة وفارق المدينة، لا يطيق... مع أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي استخلفه، فلا البقاء مع ابنةِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرضيه، ولا تربية الحسن والحسين يعزيه، فيخرج مسرعًا يلحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول له: (يا رسول الله تخلِّفني في النساء والصبيان).

الله أكبر: أيُّ عيب هذا؟ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي أذن لك، هو الذي أمرك؟! لا، فالتخلف في عرفهم معرة.

وما أطفأ نار اشتياقه لمصاولة أعداء الله إلا مقولة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له: (أما ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي)[٢].

رجع عليٌّ رضي الله عنه إلى المدينة كما رجع هارون عليه السلام، لكنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهب إلى ربه حين ذهب إلى الجهاد كما ذهب موسى عليه السلام للقاء ربه سبحانه.

---

[١] أخرجه البخاري (٢٨٤٥).

[٢] أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٦٢٩٧)، وأحمد ١/١٨٢، والترمذي (٣٧٢٤)، والنسائي في "الكبرى" (٨٠٨٥)، وابن ماجه (١١٥).

هذا هو جواب أولئك الرجال، وهو جواب كل من دخل في النداء (يا أيها الذين آمنوا)، بل والله هو دواؤهم.

الله أكـــــبر في الجهـــــاد دواؤنـــــا ... في يـــوم عشـــناها تملكنـــا الـــورى
الله أكـــــبر صـــــيحة علويـــــة ... دانت لهـــا فـــرس وهـــدت قيصـــرا
الله أكـــبر يـــا جبـــال فـــرددي ... هـــذا النشـــيد وأسمعيـــه الأعصـــرا
الله أكـــــبر بالجهـــــاد حياتنـــــا ... ودم الشـــهادة خـــير ريـــحٍ عنـــبرا
والـــروح إن حنـــت لمقـــدم ربهـــا ... تجـــد الشـــهادة مغنمًـــا بـــل أكـــبرا

أيتها النفس: كثيرًا ما تحدثيني بذهاب وقت الجهاد اليوم، وتقولين: طار بالنصر الصليبيون، وذهب بالبلاد المجوس، وإنَّ الحكمة تقتضي المهادنة والمفاوضة، والتغيير من الداخل، وتقولين لي: الجهاد اليوم جهاد النفوس والأُسَر، الجهاد جهاد المناهج التربوية! انظر: كيف حبسوا أنفاس المجاهدين؟ فالشوارع محروسة، والعيون مفتوحة، وفي كل مكان مدسوسة، أما ترى قلة العمليات... كن واقعيًّا، وانظر إلى المستقبل، فأبناء الماضي في القبور، وأبناء الحاضر في الدور، وأبناء المستقبل في القصور؟!

قولي ما شئتِ أيتها النفس، وافرضي ما شئت، ولكن جوابي على كلِّ ما ذكرتِ هو: نَعَم، المنافقون كُثُر. نعم، السدود موجودة. نعم، الأموال شحيحة. نعم، ونعم، ونعم..وألف نعمٍ، **ولكن أين الله...؟ أين الله...؟** ﴿ J K M N O P Q ﴾ (الأنعام: ٩١).

أين الله القائل: ﴿ I J K L M N O P Q R S T U V W X ﴾ (المائدة: ٥٢).

أين الله القائل: ﴿ d e f g h i j k ﴾ (آل عمران: ١٢٦).

أين الله القائل: ﴿ T U V W X Y Z [\ ^ _ ` ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

أين الله القائل: ﴿ { ~ نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ © سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ´ µ ¶ ¸ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ (آل عمران).

أين الله القائل: ﴿ d e f g h i j k ﴾ (المنافقون: ٨).

أين الله القائل: ﴿ b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ © ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ (البقرة).

أين الله القائل: ﴿ l m n o p q r t u v w x y ﴾ (الأحزاب: ٢٧).

أين الله القائل: ﴿ عَسَى © أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا ´ µ ﴾ (النساء: ٨٤).

أين الله القائل: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 ﴾ (الشعراء).

أين الله القائل: ﴿ N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b ﴾ (الدخان).

رضي الله عن عمر: يرى بعينيه مِن ها هنا قريبَ ربعِ أصحاب رسول الله صلى الله عليه آله وسلم قتلى في ساح أحد، ويرى الجراح قد أثخنت الأحياء، فما من رجل إلا نزفت جراحُه، بما فيهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم- فداه أبي وأمي-، ويرى الكفر قد انتشى وانتفخ، ومن هناك يسمع صوتَ أبي سفيان يرتفع باستعلاء، ويتردد صداه بين الجبال: أُعلُ هبل، أُعلُ هبل. نسي عمر القتلى والجراح، ولم يطق صبرًا، فأجاب رضي الله عنه، فقد روى البراء رضي الله عنه:... فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات، فنهاهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يُجيبوه، ثمَّ قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرَّات، ثمَّ قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثمَّ رجع إلى أصحابه، فقال: أمَّا هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمرُ نفسَه، فقال: كذبتَ، واللهِ، يا عدوَّ الله، إنَّ الذين عددتَ لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، قال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدرٍ، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مُثلَةً، لم آمر بها ولم تسؤني، ثمَّ أخذ يرتجز: أُعلُ هُبَل، أُعلُ هُبَل. قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: ألا تجيبوا له؟ قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجلُّ. قال: إنَّ لنا العزَّى ولا عُزَّى لكم. فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: ألا تُجيبوا له؟ قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم (١).

الشوارع محروسة؟! هنا يكون اليقين، **هنا يتميز المؤمنون المتوكلون المفوِّضون أمرهم لربهم**، هنا يخرج العبد من بيته والله يرقب غدُوَّه وهو السميع العليم: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(آل عمران: ١٢١). يغدو وأمامه السدود والموانع، وليس عنده من مُعين إلا الله وبين عينيه﴿ i j k l m n o p q r s t ﴾(يس: ٩). يغدو وأمامه قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ ´ µ ﴾(طه : ٤٦). يغدو وعينُه على صيده، وقلبه ذاهبٌ لربه، وريح الجنة عبق جوانحه، ونفذ إلى شرايينه.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩)، وأحمد ٢٩٣/٤، وأبو داود(٢٦٦٢)، والنسائي في "الكبرى" (٨٥٨١).

هنا خرج الزبير رضي الله عنه في أصعب من حالنا عند اليرموك حين رأى اصطفاف الروم للقتال، والناس لا يرون لصفوف الروم انتهاء، فيقرِّر الزبير قراره، ويبدأ برحلة يرى كلُّ من رآه أنه ميت ميت لا محالة، فيخترق صفوفَ العدو من أولهم إلى آخرهم طعنًا وضربًا حتى إذا شقَّ الجيش عاد ثانية إلى حيث ابتدأ، تبللت ثيابه دمًا، وما ازدادت همته إلا غيرة لله ونقمة على أعدائه، تناوشته الأسلحة، وطُعن، وما مات لكنه أحيا همة جيش بأكمله، وجرَّأهم على عدوهم، وأوهن بفعلته همَّ الروم. قال هشام بن عروة عن أبيه: إنَّ أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشد فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم[١]. فقالوا: لا نفعل. فحمل عليهم حتى شقَّ صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد ثم رجع مقبلاً، فأخذوا بلجامه [أي: لجام فرسه]، فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير[٢].

وهنالك ينفلت أسد آخر، إنه عكرمة بن أبي جهل، بموقف عديم النظير، وعنده ما يبرر فعله، فعن ثابت، أنَّ عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه **ترجَّل** يوم اليرموك، فقال له خالد بن الوليد: لا تفعل، فإنَّ قَتْلَك على المسلمين شديد. فقال: **خلِّ عني يا خالد،** فإنه قد كان لك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة، وإني وأبي كنا من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمشى حتى قُتل[٣].

قال أبو إسحاق السبيعي: نزل عكرمة يوم اليرموك، فقاتل قتالاً شديدًا ثم استشهد، فوجدوا به بضعًا وسبعين من طعنة ورمية وضربة[٤].

لم يمت كالاستشهادي من أول ضربة وأول طاعن، بل بقي يضرب ويطاعن، ولا يعلم إلا الله أي صولة صالها عكرمة، وفتكٍ فتكه في الروم، وما ذهب عكرمة حتى ترك صحيفة

---

(١) كذبتم: خلفتم و لم تشدُّوا معي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٥).

(٣) أخرجه ابن المبارك في "الجهاد" (٥٤)، والبيهقي (١٧٦٩٩)، وعزاه في "كنــز العمال" إلى ابن عساكر.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٢٤/١.

ناطقة على صبره وبلائه وفعله في الروم، تلك هي: بضعًا وسبعين طعنة ورمية وضربة في معركة واحدة!

الشوارع محروسة ؟! والعيون مدسوسة؟!

فلتكن، وإلا فماذا تريدين أيتها النفس؟ **لعلكِ تريدينها شهادة مـــن غـــير مجازفـــة بالروح**، وصاحبُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن رواحة يقسم قســـمًا لا رجعة فيه حين حدثته نفسه بقليل من التأخر، فقال:

أقسمت يا نفسي لتنـــزلنه

طائعةً أوْ لتكرهنه

ما لي أراك تكرهين الجنة

إن أجلب الناس وشدوا الرنه

لطالما قدْ كنتِ مطمئنة

هل أنت إلا نطفة في شنه.

ثم نزل فقاتل حتى قُتل[١].

لعلك تخافين- أيتها النفس- أن يُهزم الإسلام بموتكِ، وما كان من أحدٍ أقرب للعدو من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، **والفاروق هو الخليفة يَعزم على الخروج مع جيوش الفتح لولا رجاء كبار الصحابة رضي الله عنهم له.**

فمن أكون أنا وأنت؟

تقولين أيتها النفس: الجهاد جهاد الأُسَر؟!

أيُّ صلاح لأسرةٍ الجبانُ ربُّها؟! أيُّ فخر لأبناءٍ وزوجةٍ يرون أباهم دجاجة ونعجة، ينفر من صفير الصافر، أبناؤك يرون غيرَك من الآباء يهبُّون للجهاد، **ويرونك تلوذ بأمهم؟** لا همَّ لك إلا أن تجعلهم يأكلون ويتمتعون ويستدفئون ويشخرون... وغيرُك في سوح الوغى يُجرحون ويَستشهدون؟

---

[١] أخرجه البيهقي (١٨٢٥٤)، وأبو نعيم ١/١٢٠. وعزاه الهيثمي في "المجمع" للطبراني، وقال: رجاله ثقات.

أيطمع الشيطان بصدٍّ عن سبيل الجهاد في نفوس المخلصين أخبث من أن يصرفهم إلى إصلاح النفس والأسر والمجتمع ونحو ذلك؟ ويروي لهم حديثًا مكذوبًا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)[1]!

أيطمع الشيطان أن يُدخل اليأس على نفوسهم إلا أن يقول لهم: قد ذهب الوقت وأصبح الجهاد في خبر كان؟ وما هي والله إلا وراثة المنافقين السابقين الذين قال الله عنهم:

﴿ + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 9 : ; <

= ? @ A B C D F G H I J

K M N O P ﴾ (آل عمران: ١٦٧).

أيتها النفس: ماذا لو أصغى لحديثكِ هذا كلٌّ واحد من المجاهدين ممن حدثته نفسُه نفسَ الحديث، أكان للجهاد اليوم وجود؟

ماذا لو أصغت لهذا الحديث الشعوبُ المحتلة من قبلُ ومن بعدُ، هل تحرر شعب وهُزم الطغيان والعدوان؟

أليس هذا في الحقيقة نفس حديث العدو؟ نفس إلقاء الشيطان! نفس نَغَمِ النفاق السابق!

أيتها النفس: أغرَّك ظهورُ هؤلاء وتقلبهم في بلدك، أغرَك تقلب المنافقين أعضاءً في برلمان أو وزراء في حكومة مرتدة.

تذكري أنَّ علوَّ العدو هذا غثاء، وأنَّ الله جرَّأ الأولين حين خاطبهم بقوله: ﴿ P Q R S T U V ﴾ (آل عمران: ١٩٦). وجرَّأهم أكثر حين قال وهو الضامن سبحانه: ﴿ ! " # $ % & '

( ) * + ﴾ (التوبة: ١٤).

[1] قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١١/١٩٧: لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النّبيِّ صلّى الله عليه وسلم وأفعاله، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال.

تذكري أنه ما إن تتراءى الفئتان حتى يفرَّ الشيطان سريعًا، ويقع العدو صريعًا، ويموت ألف مرة قبل أن يموت موتًا ذريعًا: ﴿ K J I H G F E D

Y X W V U T R Q P O N M L

Z [\ ] ^ _ ` a b c d e g h i ﴾ (الأنفال: ٤٨).

تذكري أنَّ صدور العراقيين المؤمنين مواقد، وأنَّ الله قادر على أن يُبارك جمرها، ويفجِّر بركانها، فإذا العدو حطبها، وإذا جماجمهم وقودها، فتقدمي، فلعل الله يوقد تلك المواقد بقومتك وتقدمك ومقولتك... فهل من مؤمن صادق على هذه الأرض إلا وهو يهيم في الشهادة، ويحلم بانتقام الله من العدو على يديه كيفما شاء، ويحلم بذلك بل يطمح به؟

وتضـــج في قلـــبي المـــنى .. وتُحـــيلني سُـــحُبُ الـــرؤى ليثًـــا بهيئـــة طـــائرِ
لـــو أنَّ بعضًـــا مـــن رؤاي تحققـــتْ وغـــدوتُ ممتلئًـــا بعـــزمٍ ســـاحرِ
لقطعـــتُ رأسَ خِوانِنـــا بقـــواطعي وحفـــرتُ قـــبرَ هواننـــا بأظـــافري
يا فتيـــة الأمـــل الوضـــيءِ توحَّـــدوا وتيقظـــوا مـــن خـــائن متـــآمرِ
الله أكـــرمكم وبـــارك حملَكـــم علمَ الجهاد...علـــى الطريـــق العـــاطرِ
يا للجمال...وزحـــف أمتنـــا مضـــى والحقُّ يصرُخُ: يـــا كتائـــب بـــادري
وصـــواعق التكـــبير فيهـــا تمتطـــي مـــوج الصـــهيل إلى اللقـــاء الظـــافرِ
ومناجل الأبطـــال تحصـــد في الـــوغى الأشواكَ...أشـــواكَ الضـــلال الـــداعرِ
وطلائـــع الصـــبح المـــنير تعيـــد لي أمجـــادَ أبـــائي...كأمســـي الـــدابرِ
آن الأوان لكـــي أعـــيشَ مكرَّمًـــا وتفـــيضَ بـــالخير العمـــيم بيـــادري
هـــذا الجهـــاد طبيـــبُ أمتنـــا الـــتي مرضـــتْ بفعـــل تخـــاذلٍ وتنـــاحرِ
صـــلَّت قـــوافي الشـــعر في محرابـــه دومًا وصـــامت عـــن ســـلام خاســـرِ

أنا شـــاعر مـــا دمـــتُ تحـــت لوائـــه فإذا نـــأى عـــني فلســـتُ بشـــاعر[١]

أيتها النفس: أراك يُحبطك قعودُ رجالٍ عن الجهاد قد كنتِ تعدينهم قدوات، ويهدُّ همتك رؤيتُك شيوخَ علمٍ ودعوةٍ انسحبوا من ميدان الجهاد إلى ميدان التفاوض أو إلى التجارة أو إلى الوظيفة... فتقولين: أفلا يسعني القعود حيث وسع هؤلاء، أهذا وقت التقدم إذ تقهقر هؤلاء الشيوخ الأعلام؟

إي والله انسحب شيوخ، وقعدت قدوات، ولكن ليعلم الجميع أنَّ في الشيوخ رجالاً ثبتوا، تفديهم الأرواح وهي في غاية الانشراح، وتذوب في حبهم القلوبُ تقرُّبًا لعلام الغيوب.

أيتها النفس: لا تتعللي بفعل فلان أو قول فلان أو عمل فلان، فهذا الجهاد منذ أن شرعه الله جعله حجة على الجميع، ولم يجعل أحدًا عليه حجة. حجة على الخطيب الذي خطب يومًا من الأيام عن الجهاد، حجة على العالم الذي علم، حجة على الغني الذي ملك، حجة على المعيل ذي الأولاد، حجة على القوي الذي اقتدر، فكأنَّ الأعمال تُعرض عليه فيصدقها أو يكذبها، وكأنَّ الرجال يُعرضون على ناره، فيشهد لهم أو يشهد عليهم، فهو كما قال الله تعالى: ﴿) (* + , - . / 0 1 2 3
4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B
﴾ (آل عمران).

عندما يأتي القتالُ في سبيل الله يخرج النفاقُ، وتتبعثر أغطيتُه الشرعية، ويظهر المدعون من فلتات ألسنتهم وأصوات أنفاسهم وحركة عيونهم.

يقول سبحانه: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * +
, - . / ' 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 :

---

(١) من قصيدة "نفق السلام" لفيصل بن محمد الحجي، مجلة البيان، العدد (١٠٨) ص (٥١).

K J I H G F E D B A @ ? > = ;

﴿ M L ﴾ (محمد).

سيعود المنافقون إلى المزايدة على صدقهم المرة تلو الأخرى، وخصوصًا بعد ذهاب غزوة أو سرية أو صولة، فما هو إلا أمر واحد، ويتحدد المؤمن من المنافق، ويُكشف المستور ويَعرف كلٌّ إنسان نفسه، ذلك الأمر هو: ﴿ 1 2 3 4 5 ﴾.

يقول جل في علاه: ﴿ + , - . / 0 1 2 3 4 5 6

7 9 : ; < = ? @ A B C D

F G H I J K M N O P Q ﴾ (آل عمرآن).

قولوا ما شئتم... اخطبوا كيف شئتم... صرحوا بما شئتم... فختم الصدق أو الكذب **في الميدان.**

قال تعالى: ﴿ k l m n o qp r s t u

v w x y z { | } ~ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ

صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ © ﴿٤﴾ ﴾ (الصف).

وقال تعالى: ﴿ 7 8 9 : ; < = > ? A

B C D E F G H I J K L M O P Q

R S T U V X Y Z ﴾ (البقرة: ٢٤٦).

أيتها النفس: لا تقولي فلان تخلَّف، وفلان ترك، وفلان وفلان وفلان... هؤلاء يُحاكمون للجهاد، ولا يحاكم الجهاد إليهم.

أيتها النفس المتعللة باشتداد الحال، وصعوبة الأمر: بالله عليك متى يحلو الثبات أكثر من وقت تحمرُّ فيه الحدق، وتزول أقدام الأبطال عن مواضعها، وتزلزل الجبال عن مواقعها،

هناك يجدها المؤمن فرصة؛ **ليتميز في عين ربه سبحانه** فيهتف: يا رب اشهد أني لست من هؤلاء ولا هؤلاء. يا رب قد طار قلبي إليك اشتياقًا، يا رب فعجِّل باللقاء، واشوقاه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وحزبه، واشوقاه لوجه ربي الأعلى.

فعن سيار بن مالك، قال : سمعت مالك بن دينار قال : لما كان يوم الزاوية[1] قال عبد الله بن غالب : إني لأرى أمرًا مالي عليه صبر، روحوا بنا إلى الجنة، قال : فكَسر جفن سيفه، وتقدم فقاتل حتى قتل، قال : وكان يوجد من قبره ريح المسك، قال مالك : فانطلقتُ إلى قبره، فأخذت منه ترابًا فشممته، فوجدتُ منه ريح المسك[2].

أيتها النفس: إذا أردتِ القعود فاقعدي، وانتظري حسابك، **ولكن إياك أن تصبغي قعودك صبغةً شرعية، إياك أن تبرري لقعودك بتبريرات نفاقية، إياك أن تعوِّقي غيرك عن الجهاد في سبيل الله، إياك أن تلمزي مجاهدًا تبريرًا لقعودك!**

أيها القاعدون: إنكم إن فعلتم ذلك، فاعلموا أنكم بارزتم الله في الحرب؛ لأنكم وقفتم ضد أمر الله! الله يقول: ﴿ L ﴾. وأنتم تقولون: "اقعدوا"! الله يقول: ﴿ ! ﴾.وأنتم تقولون: "فاوضوهم"! الله يقول: ﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ﴾. وأنتم تقولون: "اتركوا جهادكم"! الله يقول: ﴿ ~ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ © ﴾. وأنتم تُبغِّضون الناس فيما يحب الله، وتشقون صفًّا يحبه الله! الله يقول: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ ﴾. وأنتم تقولون: "اخشوهم".

إنه النفاق عصريًّا كان أم قديمًا.

---

[1] معركة الزاوية كانت في محرم سنة اثنتين وثمانين، وهي من معارك عبد الرحمن بن الأشعث. تاريخ خليفة بن خياط ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦.

[2] أخرجه البيهقي في "الشعب"، وأبو نعيم في "الحلية" ٢/٢٥٨.

فلا أدري إن لم تكونوا أنتم ممن قال الله فيهم: ﴿ q r s t ﴾. فممن تكونون إذن؟ وإن لم تكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿ [\ ] ^ _ ` a b ﴾. فممن تكونون إذن؟!

كم حدثتني النفس قائلة: يا هذا إنكَ ضعيف، وإن ظهر للبعض أنك قوي!

إنك لا تقوى على الأسْر وشدائده، والحبس وعذابه، والتحقيق وكهربائه... لا تقوى على التقطيع والتكسير والتهشيم...

حافظ على دينك الذي أنت عليه خير لك من أن تموت مفتونًا عن دينك، أو تضعف فتُخْبِر عن صحبك فيذهب بسببك الكثير!

أيتها النفس المتعلقة بالدنيا، المتعللة بمبررات شرعية في ظاهرها، نفاقية في باطنها: ما الفرق بينكِ وبين الذين تركوا الجهاد أول مرة معتذرين بخوف الفتنة عن الدين كما قال سبحانه: ﴿ 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = ? @ A B ﴾ (التوبة: ٤٩).

هذا خاف فتنةَ النساء كما في الآية فأحجم واعتذر عن الجهاد، وذاك خاف فتنةَ المال والدنيا فاعتذر، وثالثٌ خاف فتنة الأسْر فاعتذر، كل واحد اعتذر عن عدم خروجه لخوف الفتنة، **وما علم هؤلاء أنَّهم سقطوا في الفتنة، وهي ترك الجهاد**، ولذا قال الله تعالى ردًّا مباشرًا وجوابًا ظاهرًا على مقولتهم ﴿ 5 6 7 8 ﴾، قال سبحانه بعدها مباشرة: ﴿ : ; < = ﴾.

أيتها النفس: قولي لي- بالله عليك- أيُّ رجل وُفِّق للصبر من غير أن يُصبِّره الله حتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ألم يقل الله له: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾؟

أتدرين كم يفيض الله تعالى من السكينة والطمأنينة على ذاك الأسير المُبتلى؟

والله ما رأينا خارجًا من حبسه إلا وجدناه يتذكر أيام اللذة الإيمانية، أيام المدرسة اليوسفية، بلوعة وإعزاز، أيامًا ما وجد لها نظيرًا في حياته! وما وجدنا واحدًا إلا وهو يرجو بها يوم القيامة ما لا يرجوه في حياته كلها.

أتدري ماذا يصنع القرآن هناك بتلك النفوس المحبوسة؟

أتدري أي سكينة يُنـــزل الله عليها، أي حلاوة تتذوقها، أي ليل تعيشه مع ربها؟

أيتها النفس: لو كان هذا عذر شرعي مقبول عند الله لما أقدم أحد على الجهاد؛ لأنَّ كل واحد معرَّض للأَسْرِ، ورب العالمين يقول: ﴿ د وَيُقْتَلُونَ ﴾. فأين حساب الأَسْرِ؟

ما أحسَب اللهَ يُخرجُك من بيتك- لا تريد إلا وجهَه- ثم يتركك إذا أسرك العدو يضيع إيمانك، وهو القائل عن نفسه: ﴿ ` a b c d ﴾. وما كان الله ليضيع صلاتكم، وما كان الله ليضيع جهادكم.

أيتها النفس: كم من رجل ما اكتشف معدنه وما عرف خصائصه الفريدة إلا في ذلك المختبر، مختبر الحبس والتعذيب، وما عرف لطف الله حقًّا كأنه العيان إلا هناك.

وكم من رجل كان الله ينجيه في كل مرة حتى إذا أوشك العدو على إدراكه أدركه الله تعالى برحمته واتخذه شهيدًا في سبيله، فجمع له من الخيرات ما لا يعد ولا يحصى.

أيتها النفس أراك تقولين: أبحث عن عمل مشروع هنا وهناك بديلاً عن الجهاد، لعل الله يعذرنا أو ندرك درجة المجاهدين ولن تكون من القاعدين؟! خِبْتُ والله وخسرت إن حرت بعدما كررت، وعدت من حيث خرجت، ورضيت من الغنيمة بالإياب، ورضيت من الجهاد بالعيال والمال، ورضيت من الرفعة بالخلود إلى الأرض، ورضيت من حال الرجال بالقعود مع القاعدين، ورضيت من الحياة بالعلف وعيش البهائم، ورضيت من الموت بموت الفراش أو البيوت أو المستشفيات أو حوادث الشوارع، ورضيت من القيادة بالمجوس، ورضيت من الشرائع بدساتير الردة.

أيُّ شيء في ميزان الله يساوي بارقة السيوف؟

أيُّ عين تساوي العين الحارسة في سبيل الله؟

أيُّ رِجلٍ تساوي الرجل المغبرَّة في سبيل الله؟

أيُّ يدٍ تساوي اليد الباطشة لله؟

أيُّ أنف يساوي الأنف المستنشق الغبار في سبيل الله؟

أيُّ ساعة تساوي ساعة يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود)[1]؟

أيُّ قطرة تنـــزل على الأرض أغلى عند الله من قطرة دم تهراق في سبيله؟

أيُّ دابة أفضل من دابة يقسم الله بها وبحركاتها وبآثارها في كتابه: ﴿ e f g h i j k l m ﴾؟

من ذا الذي يقارن عملاً من الأعمال الصالحة بالجهاد، كل عمل بعد التخلف عن الجهاد من غير عذرٍ يدخل في دائرة القعود، حتى لو كان تفرغًا للعبادة، فكيف والجهاد فرض عين علينا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مرَّ رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشعب فيه عُيينة من ماء عذبة، فقال: لو اعتزلتُ الناس فأقمتُ في هذا الشعب؟ ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: (لا تفعل، فإنَّ مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)[2]. "فُواق ناقة" بضم الفاء وتخفيف الواو وآخره قاف، قال الجوهري[3] وغيره: هو ما بين الحلبتين من الوقت؛ لأنها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها

---

[1] أخرجه ابن حبان (٤٦٠٣)، والبيهقي في "الشعب" ٤/٤٠، والديلمي ٤/١٨٦، وابن عساكر في "أربعين الجهاد" (الحديث ١٨). وصححه الألباني وشعيب.

[2] أخرجه أحمد ٢/٤٤٦، والترمذي (١٦٥٠)، وقال: حديث حسن. وحسنه الألباني وشعيب.

[3] هو إسماعيل بن حماد، أبو نصر الفارابي، مات سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة، وقيل: في حدود الأربع مئة، بغية الوعاة ٤٦١/٤٤٦-٤٤٧.

الفصيل لتدر ثم تحلب، انتهى[١]. وقيل : هو ما بين أن تضع يدك على الضرع وقت الحلب وترفعها.

قال ابن النحاس : وفي هذا الحديث أدلُّ دليل على ما تقدم من أنَّ الجهاد والتصدي له أفضل من العزلة للعبادة، والله أعلم .

يا هذا، ليت شعري من يقوم مقام هذا الصحابي في عزلته وعبادته وطيب مطعمه، ومع هذا فقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم: لا تفعل. وأرشده إلى الجهاد، فكيف لواحد منا أن يتركه مع أعمال لا يوثق بها مع قلتها، وخطايا لا يُنجى معها لكثرتها، وجوارح لا تزال مطلقة فيما منعت منه، ونفوس جامحة إلا عما نهيت عنه، ومآكل حُكم حلِّها عند رازقها، وخواطر علم أصلها عند خالقها، ونيات لا يتحقق إخلاصها، وتبعات لا يرجى بغير العناية خلاصها، ثم النظر في خواتم الأعمال، مجال الخطر وعظائم الأوجال، فالسعيد من وفقه الله للجهاد ويسَّره عليه، والشقي من جَبُن فغبن وظهر الخسران عليه، اللهم يسِّر علينا الجهاد ويسِّرنا له، واجعلنا بفضلك ممن رام أمرًا فناله، وقرنت بالتوفيق أحواله وأفعاله، إنك قريب مجيب.اهـ.[٢]

أيُّ رجل كان له فضل في السنة كالإمام البخاري؟ وأيُّ قبول كتبه الله لإمام في رواية حديث نبيه ما كتبه لاسم البخاري؟ لقد أذهل الإمام البخاري وأخذ بلبه الجهادُ رغم كل ما قدَّم، قال محمد بن أبي حاتم: ورأيته- أي البخاري- استلقى على قفاه يومًا، ونحن بفِرَبْــر في تصنيفه كتاب "التفسير". وأتعب نفسه ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث. فقلت لــه: إني أراك تقول: إني ما أثبت شيئًا، بغير علم قط منذ عقلت، فما الفائدة في الاستلقاء؟ قال: أتعبنا أنفسنا اليوم، وهذا ثغر من الثغور، خشيت أن يحدث حدث من أمر العــدو، فأحببــت أن استريح، وآخذ أهبة، فإن غافصنا[٣] العدو كان بنا حراك.

---

[١] الصحاح ٤ /١٥٤٦.

[٢] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ١/١٥٣.

[٣] أي: فاجأنا العدو، وأخذنا على غرة منا. (لسان العرب، مادة غفص).

قال: وكان يركب إلى الرمي كثيرًا، **فما أعلمني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدفَ إلا مرتين، فكان يصيب الهدف في كل ذلك، وكان لا يسبق**[١].

لقد كانت هذه أمنية الأئمة العظام جميعًا دون استثناء وما أن جاءهم الفرصة حتى التحقوا جنودًا في سبيل الله.

يا أهل الإسلام في العراق: العاقل لا يقدِّم لنفسه العذر، ولكن إذا حدث له عذر تجاوزه ما استطاع، فإن لم يستطع بكى على نفسه؛ لفوات ذاك المشهد عليه خوفًا أن يصدق عليه وهو لا يدري التخلف أو يكون من أهل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾.

يا شباب المساجد في العراق: بالله عليكم ماذا لو غُزيت مدينةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها؟!

ماذا لو دَعى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس للجهاد، وتخلف أناس عن ندائه؟

ماذا لو طلب من أناس الحراسةَ، ولم يخرجوا لها؟

ماذا لو طلب من رجال الأموال فبخلوا؟

ماذا لو طلب منهم تزويده بأخبار المشركين، فكتموا وهم يعلمون؟

أليس هذا هو النفاق؟

إذًا ما الذي تغيَّر؟

اقرؤا الكتاب والسنة.

بلادنا بلاد الإسلام محتلة، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهب، وكلنا فداءً له، لكن من كان يعبد محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت، وأمرُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم، وكتاب الله لم يتغير.

ما الذي جعل حكم النفاق يصدق على الذين في عهده، ولا يمسنا؟

---

[١] سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٤.

الله أكبر: كم من رجل مكتوب عند الله من المنافقين وهو يأكل بدينه، ويُحسب على أهل الإيمان.

يا رجال الإسلام في العراق: هل يُشترط للخروج للجهاد حضورُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

هل يُشترط لكي يصبح المتخلِّف بغير عذر منافقًا أن تنـــزل باسمه وكنيته أو باسمه الثلاثي آية؟ هل تريدون قرآنًا جديدًا؟

أيتها النفس: اغمسي روحك في سورة التوبة والأحزاب وسورة محمد، واعرضي عملك على حكم الله في كتابه وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في سنته فلعلها تكتشف حقيقتها، لعل النفاق أصابها حتى النخاع، والسبب هو هذا الجهاد.

يا إخوتاه: هل غرَّكم أنَّ هؤلاء المرتدين وقَّعوا على الاتفاقية الأمنية؟

وليوقعوا ما شاؤوا، وليكتبوا ما شاؤوا، ولينشروا ما شاؤوا، وليفرحوا، فذلك كله هباء في هراء في فضاء في هواء.

ما قيمة ذلك إذا حلَّ السيف بدل القلم وحلَّ النطع بدل الورق؟!

حَمْلةٌ واحدة باسم الله يفور لها التنور وإذا بالأوراق والأقلام والأصابع التي وقعت وأصحابها يستعر بهم تنور الانتقام لله.

السيف أصـــدق أنبـــاء مـــن الكتـــب   في حده الحـــد بـــين الجـــد واللعـــب

كم وقَّع المحتلون من قبلهم أوراقًا وأوراقًا، فرحلوا ورحلَتْ أوراقهم مع رحيلهم، وما بقي منها إلا اللعنة والخزي الذي يتابع مَن وقَّع ومَن حضر مِن وزراء وأعضاء برلمان؟

قبل أشهر من رحيل الأمريكان عن فيتنام وقَّعت أمريكا معهم اتفاقية، لكن جاءت عاصفة الهزيمة، وما اعترف الفيتناميون بما وقَّع الخونة واعتبروها وصمة، وكسبوا الحرية.

أما البلاد التي وقَّعت على الاتفاقيات، وخرجت أمريكا من بلادهم بغير حرب، فلا زالوا يدفعون لليهود، ويُمنعون من أنواع من التصنيع، ويدخلون في قيود، هذا وهم دول كبرى من قبل، فما بالك بالعراق؟

أغرَّكم قوم سُموا حكومة عراقية لا يستطيع أشجع شجعانهم الخروج من بوابة المنطقة الخضراء، والمشي خطوات على رجليه حول سورها؟**!**

يا رجال الإسلام في العراق: إنه والله سباق في نصرة دين الله، وإنَّ إخوانكم الطالبان في أفغانستان على وشك أن يعلنوا النصر العظيم والفتح المبين... في أية لحظة.

وإنكم والله لا تعرفون على وجه الحقيقة أيَّ مرحلة من التمكين وصلنا بحمد الله.

فحالنا وحال العدو كما قال علي رضي الله عنه لما قيل له: كيف كنت تصرع الأبطال؟ قال: كنت ألقى الرجل فأُقدِّر أني أقتله، ويُقدِّر هو أني أقتله، فأكون أنا ونفسه عونًا عليه.

لا لن يضيع البلد الذي حمى وحمل الحضارة الإسلامية أطول فترة في التاريخ الإسلامي.

لن يضيع بلدُ أئمةِ الفقه والحديث واللغة والعلوم.

لن يضيع بلد الفتوح الكبرى في تاريخ الإسلام.

لن يضيع بلد أسس مجده الصديق والفاروق وأبو السبطين علي وخالُ رسولِ الله سعدٌ وسيف الله المسلول والمثنى وعتبة بن غزوان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لن يضيع بلد مازال ولن يزال يحفظ للسيف كرامته وللرمح رفعته وللرمي وقته.

يا دارُ مجدكِ لن يموت ولو سعى ... دهرًا جنودُ الشرِّ بالبُرَآءِ
أنتِ التي رُوِّيتِ بالدَّمِ طاهرًا ... وسلكتِ درب بطولة وفداءِ
أنتِ التي شاغلتِ أعداء الهدى ... حتى ارتقى البنيانُ للجوزاءِ
يا دارُ مَجدُكِ لن يضيع فأَمِّلي ... خيرًا ولا تسترسلي ببكاءِ
الحاقدون سيُغلَبون وإنْ هُمُ ... حشدوا جيوشَ البغي والإفناءِ
أو ألَّبوا قومًا على قومٍ ولم ... يَدَعوا سبيل المين والإلهاءِ
فلتصبري الصبرَ الجميلَ فإنه ... تاجُ اليقين وحليةُ العظماءِ[1]

---

[1] من قصيدة " يا دار" لمروان كجح، مجلة البيان، العدد (٤٩) ص (٦٠).

يا أبناء العراق: يا مَن خُدع فقيل له تعال أحمِ بلدك، تعال ساهم في إعمارها، تعال كن عضوًا فاعلاً في برلمانها، تعال كن وزيرًا، استلِم قيادة عسكرية تحفظ بها أمن البلاد، لا تكن سلبيًّا، لا تترك بلدك لغيرك. فخُدعوا... ووالله ما هؤلاء بالناصحين ولا بالحريصين على البلاد، ولو كانوا كذلك لما باعوها أول مرة، وخرَّبوها ثاني مرة، وسرقوها ثالث مرة، وها هم يطلبون الأمان لأنفسهم، والحماية لسرقاتهم، والاطمئنان إلى أنَّ الذين كانوا يعارضونهم ويخشون منهم أصبحوا حماة لهم.

فأيُّ غبي هذا الذي يصدِّق هؤلاء؟

وأيُّ مخذول هذا الذي يسوِّد تاريخه بحماية هؤلاء؟

أرأيتم كيف فُضِح كلُّ المنافقين حين حاول رأسُهم المالكي ذبَّ الحذاء الثاني عن وجه رأس الصليب بعدما أرعشه الحذاء الأول وأخضع عمَّه وأركعه؟

أرأيتم هذا المنظر؟ إنها المهمة التي يقوم بها كلُّ من يساهم في حماية المحتلين سواءً كان قائدًا عسكريًا أو عضوًا برلمانيًّا أو وزيرًا أو حارسًا لهؤلاء، فمهمته مهمة المالكي في ذب الأحذية عن وجوه الكفر، بل والله هي أصغر وأحقر؛ لأنها ذبٌّ عن وجه الذين يذبون عن وجوه المحتلين.

أيها الناس: تفاءلوا، وتفاءلوا فقد هبَّت ريح النصر ممزوجة بريح الجنة يستنشقها الفاتحون كما يستنشق الأخرى الشهداء، والآيات التي نشاهدها كل وقت كثيرة وعظيمة.

وإني من الآن أقرأ عليكم: ﴿ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R ¦ T U V W ﴾.

أحلف بالله تحقيقًا لا تعليقًا أنَّ النصر آتٍ، وقد انطلق من مكمنه، وبدت طلائعه، وأول طلائعه **انتكاسات العدو المتتابعة**، ففي كل ميدان نكسة، وسرُّ كل تلك النكسات هو جهادنا هذا.

يا عباد الله تقدَّموا للنصر فقد ﴿ B C D E ﴾ كما قال الله، تقدموا له لتقطفوه.

فليبايع من شاء على الموت، وليبايع من شاء على الجهاد، وليبايع من شاء على القيام بدوره من موضعه، وليبايع من شاء على الإمداد المالي، وليبايع من شاء على كفالة المجاهدين وأهلهم، وليبايع من شاء على عدم قتل أيِّ مسلم بغير حق والتفرغ لأعداء الإسلام...

فهل خذَل الله قومًا تبايعوا على مرضاته، فمرة أنزل السكينة في قلوبهم، ومرة أنزل الطمأنينة عليهم، ومرة أنزل الملائكة، ومرة أعطاهم مغانم عاجلة، وأخرى قادمة، وأعظم من ذلك كله حين جعل يده سبحانه فوق أيديهم ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < ﴾ (الفتح: ١٠).

كيف لا فإنَّ من تشاركوا على تجارة كان الله ثالثهم، فكيف بمن تبايعوا في سبيله؟

يا أيها الرِّبيون: أعيدوا أيام الرِّبيين الأوائل الذين حفظ الله ذكرهم في أرفع سجل، فقال سبحانه: ﴿ { ~ نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ © سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ´ µ ¶ ¸ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨ ﴾ (آل عمران).

فبمجرد أن نفَّذوا أمرَ الله آتاهم الله الثوابين، ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، فهل يزهد عاقل في هذا العرض؟!

يا أيها الرِّبيون: أمر الله بأمر، وتكفل بأمر، فانظروا بم أمر، وبم تكفل، فقال سبحانه: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , ﴾ (التوبة: ١٤). هل قال شاركوهم؟ هل قال احموهم؟ هل قال

سالموهم؟ لا والله، ولو فعلتم ذلك نزل عذاب الله عليكم كما ينـــزل عليهم، وربما أشد عذابًا وخزيًا.

فيا لذرات الإيمان في قلوب الرجال ثوري... فقد هيجك ربك، فقال سبحانه،

﴿ w x y z { | } ~ دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ۙ
إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ © يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ
وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ´ µ ¶ ¸ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن
تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (التوبة).

أليس هؤلاء نكثوا أيمانهم؟ ألم يطعنوا في ديننا؟

إن لم ينطبق على هؤلاء أنهم أئمة الكفر فلا أدري من هم أئمة الكفر؟!

إذًا فماذا إذا لم نستجب لقول الله: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ۙ ﴾؟

يا أهل الشجاعة من أهل الإيمان، ألم يستثيرنا الله تعالى أعظم استثارة حين قال:

﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ´ µ
¶ ¸ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾
(التوبة : ١٣)؟

أيُّ اختيار أصعب على المنافقين من هذا الاختيار؟ إما أن تخشوهم وإما أن تخشوا الله، والله سبحانه لم يترك المسألة للدعاوى، فهي واحدة من اثنين، فإن قاتلتموهم فإنكم تخشون الله، وإن تركتموهم فإنكم تخشونهم ولا تخشونه سبحانه.

أيُّ عذر أبقاه الله للقاعد؟

يا شباب المساجد: أيُّ رجل منا ما عاهد يومًا من الأيام وهو داعٍ في وِتْره، أو رافعًا كف ضراعته، أو ساجدًا معاهدًا ربه في خلوته تلك على الجهاد أو على الموت في سبيله، أو سائلاً ربه الشهادة؟ أيليق بمن رآه الله يومًا معاهدًا أن يراه اليوم قاعدًا ناقضًا متشبثًا بالحياة ظانًا أنَّ الموت بالخروج للجهاد والسلامة منه بالقعود؟

احمدوا الله أن مكنكم في باقي العمر لتعودوا ثانية من غير أن تقعدوا لحظة بعد هذا النداء، فلعل أبا خيثمة لو جلس في عريشه الظليل وشرب ماءه البارد، ما خرج لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما حصل على دعوته.

هنا دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستغفاره لمن أقبل، لمن عاد،لمن تاب، هنا تجديد البيعة هنا ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; < ﴾(الفتح).

قال أبو الوليد ابن الفرضي: تعلقت بأستار الكعبة، وسألت الله تعالى الشهادة، ثم فكَّرت في هول القتل فندمتُ، وهممتُ أن أرجع فأستقيل الله ذلك، فاستحييت. قال الحافظ علي (ابن حزم الظاهري) : فأخبرني من رآه بين القتلى، ودنا منه، فسمعه يقول بصوت ضعيف: لا يُكلَم أحد في سبيل الله، واللهُ أعلم بمن يُكلَم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجُرحه يثعب دمًا، اللون لون دم، والريح ريح المسك. كأنه يعيد على نفسه الحديث، ثم قضى على إثر ذلك رحمه الله.اهـ[١].

والله غالب على أمره، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[١] سير أعلام النبلاء ١٧/١٧٩.